

الحوار الحضاري في وادي النيل القديم  
من خلال المنظور الأثري الحضاري  
فيصل عبد الله عمر(\*)

مقدمة:

قامت في وادي النيل القديم العديد من الحضارات، كانت لها صلات حضارية مع بعضها البعض، مما أدى إلى أن تكون مناطق وادي النيل القديم مسرحاً لتداخل واتصال وحوار لهذه الحضارات، ومن هذه الحضارات الحضارة السودانية والحضارة المصرية.

تحاول هذه الورقة إلقاء الضوء على الحوار الحضاري في وادي النيل القديم بالتركيز على الفترة المعروفة بحضارة ( نبتة - مروى) وما عاصرها من حضارات مصرية من خلال المنظور الأثري الحضاري وتحاول الورقة الإجابة على السؤال التالي:

ما هي أهم ملامح الحوار الحضاري في وادي النيل القديم، وما هي انعكاساته في الماضي والحاضر وإلى أي مدى يمكن الاستفادة من هذا الحوار الحضاري في تكوين رؤية مستقبلية لتدعيم الصلات ودراسة التأثيرات المتبادلة بين الحضارتين؟  
إذاً فدراستنا ليست مقصورة للذاكرة التاريخية والاختزان الحضاري، ولكنها دراسة تهتم بالحوار الحضاري والاتصال الحضاري الذي تتبادل التأثير فيه ثقافتان والذي يتم عن طريق انتشار محدود للعناصر الثقافية والمركبات الثقافية عن

طريق الحوار والتداخل الثقافي والحضاري العميق. وفي هذا المجال نحسب أن مناهج البحث المتكاملة خير عوناً في دراسة هذه الظاهرة، ويكون فهم الحوار والاتصال الحضاري ميسراً كلما كانت هنالك دلائل ووثائق تؤكد ذلك، إذ لا يمكن تأكيد وإثبات الفرضيات للدلالات الحضارية والحوار الحضاري والصلات ما لم تشير المعطيات لتلك المجتمعات التي عاشت في وادي النيل القديم والنظام الذي وجدت فيه.  
ويمكن بهذا المنظور التحليلي فهم وإدراك الأسئلة التي طرحناها من خلال الأدلة الأثرية والتاريخية.

والحديث عن حوار الحضارات (Civilization Dialogue) (١)(٢) كان واسع الصدى خلال العقود في القرن الماضي، كما أشارت العديد من المنظمات والهيئات حوار (الثقافات) والتي قامت بنشر العديد من الإصدارات والتي تتعلق بهذا الجانب.

(\*) محاضر بقسم الآثار - كلية الآداب - جامعة دنقلا.

يلاحظ في هذا السياق ظهور مقال الكاتب الأمريكي صموئيل هنتقتون عن (صراع الحضارات أو صدامها) <sup>(٢)</sup> (Clash of Civilizations) والذي هو (الحديث عن حوار الحضارات) وربما نن أهم شروطه أي هذا الحوار الحضاري الاعتراف بالآخر وان يتحقق لهذا الحوار معنى التبادل والتجدد والاستمرارية. هنالك العديد من الآراء التي تقف بعكس ما نادى به هنتقتون فالعملية التطورية التراكمية للحضارات تنفي الصدام بين الحضارات المتقابلة أو المختلفة فلا صدام بين الحضارات بل حوار متصل يؤدي إلى تطور ونسوع واكتمال<sup>(٣)</sup>.

### ١- النيل ودوره في مسار الحضارات في وأدي النيل:

لعب الموقع الجغرافي لوادي النيل دورا كبيرا في المناخ وتركيب السكان ، كما أثرت جوانبه الطبوغرافية في تاريخه العام ، إذ لعبت طرق الاتصالات بين السودان ومصر دوراً كبيراً في إثراء العلاقات والاتصال الحضاري بين السودان ومصر ، وقد ظهر ذلك منذ فترات ما قبل التاريخ مروراً بالمجموعات الحضارية ، حضارة نبتة ومروى ثم الفترات المسيحية والإسلامية. أن المتأمل للحضارات والمدنيات يجد أن نشؤها قد تركز حول مصادر المياه مثل الأنهار والواحات... الخ) ، والناظر إلى الحضارات والمدنيات التي قامت في وأدي النيل يجد أن مياه النيل قد ساهمت في قيامها واستقرارها وتطورها. فنهر النيل منذ الفترات القديمة استغله سكانه في الزراعة ، كما قامت الكثير من المدن القديمة في السودان ومصر حول نهر النيل ووديانه ، وكان لنهر النيل مصدراً للمصادر الطبيعية والموارد المائية ( أسماك ، وحيوانات مختلفة ) كما ساهم نهر النيل في النقل والمواصلات النهرية ، والحركة التجارية والاتصال بين المناطق المختلفة على طول مجرى النيل.

<sup>(١)</sup> وهي النظرية التي دار حولها نقاش بين مختلف المدارس الفكرية المعاصرة في العالم.

<sup>(٢)</sup> Samuel.p-Huntington. The Clash of Civilization and Remarking of World Order-Simon and Schuster, New York, 1996.

<sup>(٣)</sup> علي عثمان محمد صالح " صدام الحضارات وحوارها بين الشرق والغرب رؤية جديدة" - المعرفة مج ٤٢ العدد ٤٨٧. ٢٠٠٣م.

يجرى النيل على ارض مختلفة الأقسام الطبيعية ، إذ يلاحظ أن الأرض التي يقع فيها وادي النيل بل حوض النيل بصورة عامة أنها تنقسم إلى عدة أقسام ، مما جعل المجموعات البشرية التي تعيش في هذه المناطق تستغل هذه الطبيعة عبر الحقب الزمنية المختلفة ، وتشمل هذه الأقسام الصخور النارية ( صخر الجرانيت الذي استخدمه قدماء السودانيين والمصريين في صناعة كثير من التماثيل والمسلات وهناك حجر البازلت الذي يستخدم في أغراض الطرق والجسور ، ومن الأقسام الأخرى الصخور الرسوبية وهي أكثر انتشارا ، وكذلك الصخور المتحولة ( الرخام ، الاردواز).

ومن اجل الاستفادة من مياه النيل قام قدماء السودان ومصر باستخدام رافعات المياه مثل الساقية والشادوف لري الأراضي الزراعية ، كما تم اكتشاف العديد من تقنيات الزراعة والري ، وبسبب أهميته تصارعت العديد من الشعوب في العالم القديم لاستغلاله مثل الآشوريين ، والرومان ، والبطالمة وغيرهم ، ومازال الصراع حتى الآن بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، كما قامت على نهر النيل العديد من السدود منذ عهد الدولة المصرية القديمة والوسطى والحديثة ونبته ومروى. وتوجد فيه الآن العشرات من السدود في فروعه المختلفة بغرض استغلال مياهه.

هذه الأهمية لنهر النيل جعلت منه أن يكون مقدسا لدى قدماء المصريين والسودانيين خلال الحقب التاريخية القديمة ، وكان للنيل دورا كبيرا في مسار الحضارة في السودان ومصر إذ استطاعت المجتمعات السودانية والمصرية خلال الفترات الزمنية المختلفة الاستفادة منه اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، مما جعل منها أن تكون لها اتصالات وعلاقات وتأثيرات ثقافية وحضارية متبادلة تعكس حوارا واضحا بين الحضارات في وادي النيل ومن نهر النيل تم اكتشاف المئات من المواقع الأثرية الحضارية مثل حضارة الخرطوم الباكرا<sup>(٤)</sup> والشهيناب<sup>(٥)</sup> ومروى في السودان والفيوم ونقادة والعمري في مصر ... الخ).

ساهم نهر النيل بجماله وروعته في الهام العديد من الكتاب والفلاسفة والشعراء في صياغة الكثير من القصائد والقصص والملاحم فجاءت رائعة ، كما غنى له العديد من المبدعين عبر الفترات المختلفة ، كما وفدت إليه العديد من المجموعات البشرية لتعيش حوله على امتداد السودان ومصر ، فكان لوجود وتداخل هذه المجموعات أن انصهرت فيما بينها مما أدى أن يكون هنالك تعايش بينها ، كما ساهم التنقل عبر النيل

<sup>(٤)</sup>A.J.Arkell. Early Khartoum, Oxford. 1949.

<sup>(٥)</sup>A.J.Arkell. Early El.Shahienab, Oxford. 1953.

إلى انصهار العديد من القبائل التي كانت تعيش في الفترات القديمة بين السودان ومصر منذ فترات قديمة.

لهذا يمكن القول فيما يتعلق بنهر النيل انه ساهم بصورة فاعله في مسار الحضارة في مصر والسودان كما ساهم أيضاً في التفاعل الحضاري على امتداد وادي النيل ، وكان هذا الدور واضحاً في الاستقرار البشري والاقتصادي والسياسي والاجتماعي لفترات طويلة في كل من السودان ومصر، كما ساهم أيضاً في وجود تأثيرات متبادلة بين مصر والسودان.

### الحضارة السودانية والمصرية خلال العهد النبتي - المروي ( نموذج الحوار) :-

أثرت الأحوال الاقتصادية والسياسية والدينية والثقافية على بلدان وادي النيل تأثيراً كبيراً، إذ ساهمت في تدعيم العلاقات بينها وفي تبادل التأثيرات الحضارية المختلفة بينها ، وكذلك في ترسيخ الصلات الحضارية بينها ، هذا الوضع جعل بعض الحضارات أن تتأثر ببعضها البعض في شكل حوار حضاري مع الاحتفاظ بأصول حضارتها وثقافتها ، وهذا ملاحظ على الحضارة السودانية والمصرية ، ومن أهم الملامح والجوانب أو الأبعاد التي عكست الصلات والتأثيرات الحضارية المتبادلة وكذلك جوانب الحوار الحضاري هي الأحوال الاقتصادية والسياسية والثقافية الدينية.

### أ/ البعد السياسي:

ويظهر ذلك بوضوح في جانب المعمار الديني في كل من السودان ومصر فعلى الرغم من أن المعمار الديني لم يكن من الإيحاء الديني فقط بل ابعده من ذلك فقد كان فنا معماريا ملكيا خضع للأنظمة الحاكمة التي توالى على العرش في كل من مصر والسودان.

فالمملوك الذين أداروا الحكم في كل من كوش (نبته - مروي) لم يعتبروا منذ بداية حكمهم انهم رؤساء للدولة فقط وإنما كانوا ينظرون إلى أنفسهم بأنهم المكفون بتطبيق المبادئ الدينية الإلهية في بلادهم ، وكان هؤلاء الملوك يسيطرون على الحياة الاقتصادية والسياسية والإدارة العامة للدولة ، والتي في الغالب الاعم أنها قامت على نظام طبقي لذا فلا عجب أن وجدنا كل النصول والنقوش التي وجدت في المعابد تخص هؤلاء الملوك إذ كانوا يتمتعون بكل سيادتهم داخل المعابد لذا نجد أنفسنا أمام مجموعة المعابد التي شيدت في كل من مصر والسودان خلال العهد النبتي - المروي ، في قمة الفن المعماري في وادي النيل الذي جمع بين القوة والجمال.

ففي منطقة النيل الوسطى ، برزت حوالي القرن الثامن قبل الميلاد مملكة نبته عند جبل البركل ، وقد اكتسبت هذه المملكة قوة ونفوداً أكثر من ممالك أخرى ، وفرضت نفسها على بيئتها التاريخية والسياسية واستولت على أراضى شاسعة ونجحت في البقاء حوالي عدة قرون وقد سميت في الكتب المصرية والآشورية والعبرية بمملكة (كوش) مع ملاحظة أن هذا الاسم قد أطلق على مملكة كرمة التي استولى عليها

المصريون قبل ذلك بثمانية قرون ، وقد حكمت مصر خلال أكثر من خمسين عاما تحت اسم الأسرة الخامسة والعشرين.

من خلال المصادر المنقوشة يلاحظ أن ملوك هذه الدولة كانوا قليلي التأثير بالثقافة والحضارة المصريتين إذ أصبحت المدن القديمة للإمبراطورية الحديثة شبه خالية ومعابدها مهجورة<sup>(٦)</sup> وبداء في تلك الفترة ظهور بعض مراكز السلطة في النوبة السفلي في قصر ابريم والذي تعود تحصيناته إلي نهاية القرن العاشر قبل الميلاد<sup>(٧)</sup>.

تشير النصوص الآشورية من نهاية القرن التاسع إلى أن الفراعنة كانوا يرسلون لملك أشور كهدية بضائع مصدرها النوبة العليا<sup>(٨)</sup> ، مما مما يشير الى أن الصلات والعلاقات التجارية مع بلاد النوبة السودانية كانت قد استوفت على الرغم من عدم معرفة كل الأسباب ، فقد نشأت في بلاد النوبة منذ القرن العاشر إمارات كان بينها وبين المصريين علاقات تجارية ، كما كان عليه الحال في فترة كريمة. وتؤكد مدافن دبيررا شرق والكره على العديد من الأدلة لهذه الصلات مع مصر مثل ( الخزف المزخرف ، الأواني المصنوعة من الحجارة ، الحلي وأدوات الزينة<sup>(٩)</sup>).

وفي عهد بي ( بعنخي) الذي اعتلى العرش بعد كشتا وجد له نصب يعود إلى السنة الثالثة من حكمه أعلن فيه نفسه ملكا ( لمصر وسائر البلاد) فعلى الرغم من انتصاره لم يكن مستعدا لتوطيد مملكته في الشمال ، فاكتفى بالسيطرة على طيبة وعلى الواحات المتواجدة في الصحراء الغربية. وعندما عاد إلى نبتا أعلن عن نصره بتخليد انتصاراته على جدران معبده الجديد<sup>(١٠)</sup>. وقد انعكس هذا الانتصار في جميع نصوصه إذ أصبح ملكا وصار على قدم المساواة مع الملوك الفراعنة المصريين ، وقد قام فنانون

(١) محمد ابراهيم بكر - تاريخ السودان القديم - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٧ . ص ١٧٣

(٧) M.L Macadam, The Temples of Kaw, 11 History and archaeology of the site, London, 1955, p. 14; Ressler, in JEA6, 1920, P, 264, Reisner in ZAS 66, 1931, pp (264-268).

(٨) Horton, in W.V. Davies (ed), Egypt and Africa in Meroitica 15, 1997.

(٩) Morkot, in CRIPEL 17, 1995, pp 185-186; Heidorn in Meroitica 15, 1997.

(١٠) Heidorn, in Seventh International Conference for Meroitic Studies, Humboldt Universitat Zu Berlin, 1992; T. Kendal, in Meroitica 15, 1997.

## دراسات في آثار الوطن العربي ٧

مصريين بتمثيل فتحه لمصر السفلى وفق القواعد التصويرية التي كان الفراعنة القدامى قد صوروا بها انتصاراتهم على الآسيويين والليبيين والكوشيين. أما عن البنية الداخلية لدولة نبتة ، فقد كانت النوبة العليا مقسمة إلى ( ولايات ) يحكمها أمراء ينتمون جميعا إلى الأسرة المالكة<sup>(١١)</sup>. ومن أهم المدن التي نشأت مثل - بنوبس الكوة، صنم ، نبتة ، مروى وقد نشأت في عهد بي (بعنخي) وكان لكل منها معابده الخاصة به. أما بالنسبة للسكان الذين كانوا في هذه المدن فقد كانوا قليلي التأثير بمصر.

من خلال هذا النشاط يمكن أن نستنتج تأثير بلاد النوبة (السودان) بمصر في ظل الإمبراطورية الحديثة ، خلال عهد دولة نبتة نجد لها آثار عميقة حتى في مصر ، وقد ظهر ذلك من خلال تأثير التصوير البشري في هذه الحقبة بنمط ملوك نبتة ، فالنقوش البارزة تظهر ملامحهم ونشاطهم<sup>(١٢)</sup>. لذا يمكن الإشارة بان هنالك تأثيرات متبادلة عكست حوارا حضاريا بين البلدين في تلك الفترة.

### ب/ البعد الاقتصادي:

ساعدت طبيعة بلاد السودان على تفردده في مجال الثروات الطبيعية المختلفة فالبيئة الطبيعية ساعدت على إيجاد أنماط اقتصادية متنوعة ففي هذه الرقعة من الأرض اكتشفت الزراعة وتطورت وغدت من أهم النشاطات السكانية لدى سكان السودان القديم وخاصة سكان دولة نبتة ومروى ، واحتلت الزراعي المرتبة الأولى ، ثم بعدها الرعي. يشير شيني إلى أن زراعة المحاصيل كانت من أهم النشاطات السكانية التي اعتمد عليها السكان في حياتهم في دولة مروى ، وقد استخدم المرويون تقنيات الزراعة المختلفة ، مثل الساقية والشادوف<sup>(١٣)</sup>، كما يلاحظ أن تربية الماشية والأغنام أيضاً لعبت

(١١) T.Kendall, Gebel Barkal Epigraphic Survey Report To visiting Committee of Department of Egyptian and Ancient near art MEA. Boston; TOROK, in CRIPEL 17, 1995, P. 226 pp. 7-20; ill 8-10.

(١٢) جان لوكلان ، الإمبراطوريتان القديمة الوسطى ، ١٢٦٠ - ١٦٥٠ ق م. في السودان ممالك على النيل ، ترجمة بدر الدين عردوكي ، باريس ١٩٩٧ ص (٣٢-٣٧).

(١٣) P.L. Shinnie, Meroe. A Civilization of Sudan New York. 1967. P 156.

دورا كبيرا في الاقتصاد السوداني وتؤكد بعض الدراسات (١٤) اهتمام المرويين بالماعز بجانب الماشية ، وبالتالي فهو دعامة اقتصادية ساعدت على نمو وتطور العلاقات التجارية مع الكثير من الدول خاصة مصر مما أدى إلى تقوية الصلات بينها وعلى المستوى الحضاري والثقافي.

أما في مجال تصنيع واستخراج المعادن ، فقد اشتهرت مروى باستخراج وصناعة الحديد واستخدامه ، وبسبب أهميته فقد عملت مروى على احتكاره ومن ثم عملت على تصديره ، مما جعل بعض العلماء أن يطلق عليها برمنجهام إفريقيا (١٥) أيضاً في المجال الصناعي نلاحظ ظهور الفخار كأحد عناصر الصناعة ابتداء منذ فترة نبته ، وكان يتم تصنيع الفخار عن طريق العجلة واليد ، وتميزت بلاد ( نبته - مروى) بصناعة الأواني الخزفية المختلفة الأشكال والأنواع. أيضاً ظهرت في بلاد السودان القديم خاصة عهد صناعة مروى صناعة الغزل، ومن أهمها غزل القطن والذي تؤكد الأدلة الأثرية ، إذ تم العثور على بعض الانوال المصنوعة من الطين في المواقع الأثرية القديمة، ومن الصناعات أيضاً صناعة الحلي واوات الزينة ، والملبوسات والأحذية ... الخ

أدى هذا الوضع الاقتصادي لبلاد السودان القديم إلى إيجاد مبادلات تجارية مع مصر فقد كانت تصدر من بلاد السودان الكثير من الصادرات والتي أكدتها الأدلة الأثرية ، ومن أهم السلع التي كان مصدرها بلاد السودان القديم وتصدر إلى مصر وغيرها من بلدان العالم القديم مثل ريش النعام ، العاج، وجلود النمر ، والفهود والحيوانات البرية (١٦). أيضاً كان المصريون القدامى يتحصلون على حجارة الديورايت التي وجدت بالقرب من توشكى ، وكذلك خام النحاس الذي كان مصدره بلاد النوبة السودانية ، ومن أهم السلع التجارية التي راجت بين مصر والسودان ، القطن والكتان

(١٤) Ali-EITajani El. Mahi-"The Meroitic Civilization Fauna and Ecology" in The Nile Geographer Dep. U of K Pp (19-25).

(١٥) A.H. Sayce, Second interim report on the Excavations at Meroe in Ethiopia, The historical Results, L.AAA,4. 1911, P. 55

(١٦) كما أشارت إليها الرسوم الجدارية خاصة التي وجدت في مقابر (نواب الملك كوش).

وأوراق البردى والمحاصيل الحقلية والخزف والفخار الذي وجد في كل من البلدين يؤكد الاتصال الحضاري والعلاقات التجارية بين البلدين وتناقل الخبرات بينهما. اعتمادا على كل الأدلة التي أوردناها يمكن الإشارة إلى أن الجانب الاقتصادي قد ساهم في تدعيم وتوطيد الصلات بين مصر والسودان وفي نقل التأثيرات الثقافية والحضارية بين البلدين.

### البعد الثقافي الديني:-

في هذه الفترة ارتبطت الثقافة بالدين ، فقد كانت معظم ضروب الفنون والعمارة والكثير من الصناعات المادية مرتبطة بالمعتقدات الدينية ، فالفن المعماري كان أساساً يدور محوره حول العمارة الدينية والنحت والنقوش الخاصة بالآلهة والملوك. ففي مجال الدين فقد أبدى النبتيون اهتماما بالتصوير والطقوس الدينية وقام الملوك بحملات تجديد وترميم للمعابد القديمة وبنلوا فيها جهدا كبيرا حتى يعيدوا لها ازدهارها الأول ، وانتشرت معابد ملوك نبتة التي بنيت على الطراز المحلي والمصري في البركل<sup>(١٧)</sup> وفي (الكوة) وفي صنم وغيرها من المدن ، وهذا يدل بصورة واضحة على أن المعبودات المصرية كانت أيضاً تعبد في مملكة نبتة ، ويظهر ذلك بوضوح في معبد امون بجبل البركل الذي يعتبر مستقرا ( لامون) بعد معبد الكرنك في طيبة وقد قام طهارقا ببناء البوابة الأولى الخارجية لمعبد الكرنك بطيبة، كما قام بتكملة القاعة الواقعة خلف تلك البوابة مباشرة ، وكذلك مجموعة الأعمدة المقامة في وسط تلك القاعة الأولى لمعبد الكرنك ، وتتألف من خمسة أعمدة في كل جانب تحاكي تيجانها زهرات البردى المتفتحة.

كما بنى طهارقا معبدا في جبل البركل كرسه لعبادة الآلهة حتحور الجبل التي كانت ترمز للأمومة والحنان ، ونصف هذا المعبد محفور داخل الجبل حيث صور الملك مع عدد من الآلهة مع وجود بعض الأعمدة ذات التيجان على شكل رمز حتحور. وتدل المخلفات الأثرية لأهل حضارة ( نبتة ومروى) إلى أن هنالك اتصال حضاري بين السودان ومصر فقد استخدمت اللغة الهيروغليفية<sup>(١٨)</sup> المصرية في كل من البلدين ، وكذلك في جانب أشكال المقابر فقد اتخذت الشكل الهرمي مع تمايزها بفوارق

<sup>(١٧)</sup>D. Dunham, The Barkel Temples 17, Boston 1971.

<sup>(١٨)</sup> تيموثي كيندل (نبتا وأسرة الكوشيين) في فريدريش فيلدونج وآخرون - السودان ممالك على النيل ، ترجمة بدر الدين عردوكي - باريس ١٩٩٧.



في الحجم والتصميم والمادة الحجرية المتوفرة. وقد قام أهل نبتة ومروى بتزيين غرفات الأهرامات بالمناظر والنصوص الدينية والتي وجدت في مصر أيضاً.

وتؤكد جدران غرفة الملكة قلبته **Galhata** <sup>(١٩)</sup> ازدهار الفنون في عهد ملوك نبتة ، إذ صورت الملكة وهي راقدة على بطنها داخل تابوت على سرير متخذ شكل الأسد ، وهي رافعة رأسها لتطل خارج التابوت وما يميز هذا المشهد هو وجود صور للسهام والأقواس ، وهي ميزة تميزت بها حضارات السودان القديم. وربما يماثل هذا المنظر وجود مشهد آخر بالمصورات الصفراء وجد فيه المعبود الأسد ( ابادماك) وهو يقدم شارته للملك أرخ-أماني بإحدى يديه ويمسك باليد الأخرى قوساً كبيراً ومجموعة من السهام وبحبل موثوق به أسير.

وما يؤكد الصلة الثقافية الدينية بين السودان ومصر ففي تابوت الملك انلماني **Analmani** ( بمحتمف الخرطوم ٢٢,٧٢٩ ) والملك اسبلتا **Aspalta** والتي وجدت فيها مناظر دينية ونصوص فان اغلبها يماثل ما كان موجوداً في مصر أيام الدولة الحديثة والتي كان بعضها من نصوص الأهرام والبعض الآخر من نصوص التوابيت ومن كتاب الموتى <sup>(٢٠)</sup> وهذا يؤكد مدى الصلات والارتباط بين الحضارتين السودانية والمصرية.

أما عن العادات الجنائزية في فترة نبتة فقد كانت اقدم المدافن في الكرو ، وهي عبارة عن اكوام من الحجارة المدورة وكان الموتى يدفنون تحتها في اضرحة محفورة داخل الصخر والوضع الغالب عليها هو وجود عناقيرب جنائزية. وتحولت الحجارة المنحوتة إلى الواجهات ثم ظهرت الأهرامات ذات الأطراف المنحدرة ، والمدافن الواسعة بدلاً من الأضرحة الضيقة المحفورة في الصخر ، وكان الموتى المحنطون يؤسدون فيها داخل توابيت <sup>(٢١)</sup> وهذا الأسلوب الأخير قد استخدم في مصر والسودان.

أن ظهور دولة نبتة عند جبل البركل ترك آثاراً عميقة حتى في مصر نفسها ، فالتصوير البشري في فن هذه الفترة تآثر بنمط ملوك نبتة ، إذ تظهر النقوش البارزة أشخاصاً قصيري القامة بدينين ذو أعناق مضمومة وذقون قوية وشفاة ممتلئة وانف

<sup>(١٩)</sup> كانت لغة المكاتب الرسمية.

<sup>(٢٠)</sup> محمد إبراهيم ١٩٨٧ - مرجع سابق ، ص ١٥١.

<sup>(٢١)</sup> هي نصوص دينية لمساعدة روح الميت في العالم الآخر.

افطس وجبهة واطئة<sup>(٢٢)</sup> ويمثل تمثال الملك تانوت أمون بكتفيه العريضتين وساقيه الطويلتين أحد مميزات وخصائص الفن الكوشي<sup>(٢٣)</sup>.

من رموز الدينيات التي انتشرت عبادتها في السودان<sup>(٢٤)</sup> ومصر وبعض منها اختص به السودان هي ( أمون - (الإله الأسد - ابادماك) - ابيس - ارنسوفيس - اوزيريس - ايزيس - توت - ديديون<sup>(٢٥)</sup> - حتحور - حورس - خنوم - رع - ساتيس - سيبومكر) وهي تؤكد الصلات الدينية بين البلدين مع وجود خصوصية للمعبودات السودانية الصرفة مثل الإله الأسد بادماك الذي امتازت به الحضارة السودانية.

من خلال ما أوردناه عن اثر البعد السياسي والاقتصادي والثقافي الديني على الصلات الحضارية بين السودان ومصر ، يمكن الإشارة إلى أن هذه الصلات وهذا الاتصال الحضاري بأنه أحد الأسباب التي أدت إلى أن تتأثر كل حضارة بأخرى مع احتفاظ كل حضارة بخصوصيتها وذاتيتها ، مع وجود تفاعلات حضارية بسبب التقائها في هذه الرقعة من وادي النيل الشمالي والجنوبي، ويمكن أيضاً أن نعزى احتفاظ الحضارة السودانية بتميزها وخصوصيتها في هذه الفترة إلى مقدرتها على الصمود ، رغم الموجات ٩ الثقافية الخارجية التي حدثت في بيئتها الحضارية انعكس ذلك في شكل حوار عكسته أبعاد ثقافية مختلفة خاصة الجانب الديني.

<sup>(٢٢)</sup>D. Dunham, OP. Cit Vol 1.

<sup>(٢٣)</sup>J. Leclant, Recherches Sur Les- Monuments Thebains de la xxv dynastie dite ethiopienne, Le Caire, 1965.

<sup>(٢٤)</sup>D. Dunham. Op. Cit. Val IV pp 17-21. ill 8.

<sup>(٢٥)</sup> أنظر ، محمد ابراهيم بكر ، مرجع سابق ، عمر حاج الزاكي: الإله أمون في مملكة مروى ، مطبوعات ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ١٩٨١.

### الانعكاسات الحضارية في الماضي والحاضر:-

هذه الصلات الحضارية والثقافية بين شعبي وادي النيل ( مصر – السودان) في الفترات القديمة خاصة فترتي ( نبتة - مروى) كانت له انعكاسات متمثلة في عدة مستويات اقتصادية وسياسية وثقافية بين البلدين.

### الماضي:-

من أهم مميزات هذا الاتصال ، إذ ساعد على التعاون الاقتصادي خاصة التجارة بين السودان ومصر والتي ظهرت بصورة واضحة في أوقات السلم والحرب. صارت الكثير من المدن السودانية والمصرية مراكز تجارة وأسواق<sup>(٢٦)</sup> خاصة المدن الحدودية، كما ساهمت السلع التجارية المصنعة في نقل الخبرات من بلد إلى أخرى ( وجود تأثيرات متبادلة).

- حدث في بعض الفترات التاريخية القديمة أن احتل كل بلد الآخر بقصد التامين السياسي والاقتصادي.
- انتقال بعض
- المؤثرات الثقافية المصرية إلى السودان وتأثر المصريين بالمجتمعات السودانية وذلك بتصويرهم في قصورهم ومعابدهم.
- انتشار اللغة الهيروغلفية في كل من السودان ومصر والتي غدت لغة المكاتب الرسمية في بعض الفترات التاريخية مع تميز السودان بلغته الخاصة والمعروفة باللغة المروية.
- تشابه بعض العادات الجنائزية في كل من مصر والسودان وضع الأثاث مع الموتى).
- انتشار فن النحت والتصوير في كل من البلدين مع ظهور بعض المميزات الخاصة لكل بلد ( الهيئة والأوضاع) وانتشار بناء المعابد والأهرامات في كل من البلدين.
- ظهور التداخل الاجتماعي إذ وجدت العديد من الأسر المصرية من عمال وموظفين في بعض المدن السودانية القديمة ، مثل صنم أبو دوم ، والكرو ، وكرمة، وكذلك وجود بعض الأسر السودانية خاصة في منطقة الكرنك.

(٢٦) W.Budge, Annals of Nubian Kings 1912. London ppxxiii-xxix.

### الحاضر:

بما أن هذه الصلات الحضارية والعلاقات السياسية والثقافية والاجتماعية كانت بين مصر والسودان حدثت منذ آلاف السنين إلا أن هنالك بعض النشاطات السياسية والثقافية والدينية والاجتماعية تذكرنا بما كان يجري في الماضي وبأنها انعكاس للماضي في الوقت الحاضر فيمكن استنتاجها وملاحظتها من خلال الأتي:

- التبادل والتعاون الاقتصادي بين السودان ومصر
- انتشار اللغة العربية في كل من البلدين مع ملاحظة كثرة اللهجات واللغات المحلية في السودان.
- انتشار الثقافة الإسلامية في كل من البلدين وتشابه الكثير من التيارات الفكرية فهي تذكرنا بالماضي الثقافي الديني في وادي النيل القديم.
- تعتبر المشاريع المائية من سدود وقنوات والمنشأة الآن على النيل وفروعه انعكاس لأفكار قديمة كانت سائدة بين الدولتين.
- كل من البلدين يعتقدان في حتمية الاستقرار السياسي والأمني بينهما وذلك انه إذا تأثر أي منهما يؤثر على الآخر فكان خيار التكامل بينهما والدعوة لها عبر فترات مختلفة.
- تشابه أنظمة الحكم في كل من البلدين خلال تاريخهما الحديث وهو ما يذكرنا بالأنظمة القديمة التي كانت سائدة في بلاد وادي النيل.

### الخاتمة:-

أكدت الدراسة قدم الاتصال الحضاري بين شعبي وادي النيل السودان ومصر وعبر الفترات التاريخية المختلفة خاصة فترتي (نبتة- مروى) ومدى انعكاس هذا الاتصال في الماضي والحاضر فقد لعب نهر النيل دورا بارزا وهاماً في الاتصال الحضاري والثقافي بين السودان ومصر عبر الفترات المختلفة ، كما ساهم هذا الاتصال في وجود حوار حضاري بينهما ن وعلى ترسيخ مبادئ التكامل في الفترات التاريخية المختلفة ، وظهر ذلك من خلال التأثير والتأثير والتداخل الحضاري والثقافي بينهما ، كما أن معظم الأدلة الأثرية والتاريخية تؤكد هذا الاتصال الحضاري.

من خلال هذه النتائج يمكن إبداء رؤية جديدة لتدعيم وإرساء العلاقات والصلات الحضارية والثقافية بين القطرين وتكمن هذه الرؤية في الآتي:

- فهم الواقع المعاش من خلال الخلفية الحضارية والثقافية لكل من القطرين
- الاهتمام بمبدأ ترسيخ الحوار مع بلدان وادي النيل خاصة السودان ومصر واستخدام الموروث الحضاري والثقافي في تقوية الصلات بينهما.
- تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية ودراستها من خلال المنظور الحضاري والثقافي
- ربط الواقع الثقافي والحضاري المعاش بالماضي الثقافي والحضاري لكل من القطرين.

- ١- وهي النظرية التي دار حولها نقاش بين مختلف المدارس الفكرية المعاصرة في العالم.
- ٢- Samuel.p-Huntington. The Clash of Civilization and Remarking of World Order-Simon and Schuster, New York, 1996.
- ٣- علي عثمان محمد صالح " صدام الحضارات وحوارها بين الشرق والغرب رؤية جديدة" - المعرفة مج ٤٢ العدد ٤٨٧. ٢٠٠٣م.
- ٤- A.J.Arkell. Early Khartoum, Oxford. 1949.
- ٥- A.J.Arkell. Early El.Shahienab, Oxford. 1953.
- ٦- محمد ابراهيم بكر - تاريخ السودان القديم - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٧ . ص ١٧٣.
- ٧- M.L Macadam, The Temples of Kaw, 11 History and archaeology of the site, London, 1955, p. 14; Resser, in JEA6, 1920, P, 264, Reisner in Zas 66, 1931, pp (264-268).
- ٨- Horton, in W.V. Davies (ed), Egypt and Africa in Meroitica 15, 1997.
- ٩- Morkot, in CRIPEL 17, 1995, pp 185-186; Heidorn in Meroitica 15, 1997.
- ١٠- Heidorn, in Seventh International Conference for Meroitic Studies, Humboldt Universitat Zu Berlin, 1992; T. Kendal, in Meroitica 15, 1997.
- ١١- T.Kendall, Gebel Barkal Epigraphic Survey Report To visiting Committee of Department of Egyptian and Ancient near art MEA. Boston; TOROK, in CRIPEL 17, 1995, P. 226 pp. 7-20; ill 8-10.
- ١٢- جان لوكلان ، الإمبراطوريتان القديمة الوسطى ، ١٢٦٠ - ١٦٥٠ ق م. في السودان ممالك على النيل ، ترجمة بدر الدين عردوكي ، باريس ١٩٩٧ ص (٣٢-٣٧).
- ١٣- P.L. Shinnie, Meroe. A Civilization of Sudan New York. 1967. P 156.

- Ali-ElTajani El. Mahi-"The Meroitic Civilization Fauna and Ecology" in The Nile Geographer Dep. U of K Pp (19-25). -١٤
- A.H. Sayce, Second interim report on the Excavations at Meroe in Ethiopia, The historical Results, L.AAA,4. 1911, P. 55 -١٥
- كما أشارت إليها الرسوم الجدارية خاصة التي وجدت في مقابر (نواب الملك كوش). -١٦
- D. Dunham, The Barkel Temples 17, Boston 1971. -١٧
- تيموثي كيندل (نبتا وأسرة الكوشيين) في فريدريش فيلدونج وآخرون -  
السودان ممالك على النيل ، ترجمة بدر الدين اردوكي - باريس ١٩٩٧ . -١٨
- كانت لغة المكاتبات الرسمية. -١٩
- محمد إبراهيم ١٩٨٧ - مرجع سابق ، ص ١٥١ . -٢٠
- هي نصوص دينية لمساعدة روح الميت في العالم الآخر. -٢١
- D. Dunham, OP. Cit Vol 1. -٢٢
- J. Leclant, Recherches Sur Les- Monuments Thebains de la xxv dynastie dite ethiopienne, Le Caire, 1965. -٢٣
- D. Dunham. Op. Cit. Val IV pp 17-21. ill 8. -٢٤
- أنظر ، محمد ابراهيم بكر ، مرجع سابق ، عمر حاج الزاكي: الإله أمون في مملكة مروى ، مطبوعات ، كلية الدراسات العليا ، جامعة الخرطوم ١٩٨١ . -٢٥
- W.Budge, Annals of Nubian Kings 1912. London ppxxiii-xxix. -٢٦
- مثل أسوان التي كانت مركزاً تجارياً وسوقاً كما يدل اسمها على ذلك. -٢٧